قراءة في كتاب: علم النفس التربوي

الكاتب: الدكتور فاخر عاقل

عرض: عبد الرحمن جاسم

التاريخ: الطبعة ١٠ - ١٩٨٩

المكان: بيروت - دار العلم للملايين

لا يضيع الكاتب الدكتور فاخر عاقل وقته في كتابه -ذو النفس الموسوعي- علم النفس التربوي، ذاك أنه لا ينطلق كما ينطلق أغلب الكتاب معرفين بعلم النفس منتهين إلى العلاقة بين علم النفس وعلم نفس التربية. ففاخر عاقل بدأ مباشرة بعلم نفس التربية وتاريخه في عالمنا العربي وأهميته في التدريس والتعليم غير مهتم أبداً بصلة الوصل بين علم النفس بوصفه علماً أصلياً يتفرع منه فروع واختصاصات كعلم النفس التربوي.

ويقسم الكاتب كتابه إلى خمسة أقسام رئيسة تتفرغ إلى عدة عناوين فرعية، وهذه الأقسام هي:

١- **الأسس البيولوجية:** ويشتمل على فصولٍ خمسة وتفريعات هي: الوراثة والبيئة للنمو، (طبيعة، مراهقة، طفولة).

٢- **التعلم:** ويتحدث فيه الكاتب عن التعلم بجميع أشكاله وأدواته المنهجية وغير المنهجية مثل: النظريات، اللغة، أطر التعلم وأثرها.

٣- **القياس والتقويم:** يتحدث فيه عن الذكاء وروائزه، عن الإبداع، ودراسة الفرد وبالنهاية عن الاختبارات والامتحانات.

٤- **التكيف والصحة النفسية:** ويتحدث في هذا القسم عن الحاجات وإشباعها، والصحة النفسية، والمشاكل التي تعتري الإنسان خلال مراحل تطوره التربوي المختلفة.

٥- **سيكولوجية المعلم:** وفيه يورد حديثه عن المعلم وشخصيته وبنائه النفسي وردات فعله وضوابط عمله.

بعد ذلك ينطلق د. فاخر عاقل في كتابه محاولاً قدر الإمكان الإحاطة بعلم النفس التربوي من جميع جنباته المهمة، غير مفسح المجال أمام أي نقص فعلي في المعلومات المعطاة، ومن نافلة القول: إن الكتاب فعلاً يمتلك نفساً موسوعياً من ناحية الإحاطة الكلية بطبيعة الموضوع. فيشرح بادئ ذي بدء الوظائف الأساسية للتعليم، وأهداف المدرسة الإلزامية والمدرسة الثانوية، ومناهج المدرسة الحديثة، والمدرسة الإلزامية والثانوية. كما يعود ليشير إلى الخبرات المنهجية سواء التي يحملها هو أو العامة التي يود تعليمها لأغلب القرّاء. في النهاية يخلص في الفصل الأول هذا إلى محاولة لتقويم المدرسة الحديثة بشكلها الحالي (في العام ١٩٧١)[١].

القسم الأول: الأسس البيولوجية:

وبطبيعة الحال ينطلق الكاتب إلى شرح علم النفس التربوي من نقطة الصفر في القسم الأول من الكتاب، الذي دعاه الأسس البيولوجية، ومنذ الفصل الأول فيه(والثاني في الكتاب)، نجد أن التركيز منذ اللحظة الأولى يكون على الأسس البيولوجية–الفيزيولوجية

وهي الوراثة والمحيط ودورهما في النمو البشري–التربوي ويفصل الأمر إلى درجة كبيرة، محاولاً الإطلال على جوانب الموضوع كلها منتقلاً من البيئة والوراثة الخاصة، ونعني بها العائلة الأولى، انتهاء بالعلاقات المدرسية والصفية بين التلاميذ والمجتمع المدرسي الكبير. وحتى التوائم، أفرد الكاتب قسماً للحديث عنهم، دون أن ينسى المرور على مؤثرات ما قبل الولادة وأثر الجدود وكل ما له شأن في خلق الجو العام المحيط بهذا الطفل، أو الموضوع التربوي.

«**فنسمع مثلاً قائلاً: يقول إن الجنون صفة مميزة لهذه العائلة، أو إن هذا الأمر في دمي لذلك فأنا عاجز عن فعل شيء لمنعه أو إيقافه... ولاشك في أن مثل هذه الأقوال جميعها تعبر عن نظرة إلى مسألة الطبع والتطبع**»(٢).

ويبدو الكلام عن مسألة الطبع والتطبع مقدمة منهجية للخوض في الوراثة والبيئة. فالوراثة هي الاستعداد الفطري الذي يوجد أصلاً داخل الطفل وهو يتمثل «بالطبع» والبيئة هي المؤثرات التي تطرأ وتوجه وتساهم بشكلٍ كبير في خلق شخصية وطباع معينة لهذا «الحدث». فالكاتب يفصِّل ويشرح تأثير الوراثة بداية بطبيعة العلاقة بين الأهل مروراً بمؤثرات ما قبل الولادة والعناية الطبية آنذاك، وصولاً إلى العلاقة بين التوائم سواء أكانوا توائم متماثلين أم لا، ليعود بعدها في انتقال منهجي إلى العلاقة بين البيئة والوراثة، مفصلاً نفس التفصيل إنما متحدثاً عن الوراثة والعلاقات الاجتماعية التي من شأنها خلق كل صفات هذا الكائن.

والبيئة والوراثة اللذان يفصل د. عاقل مراحلهما خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة، مفصِّلاً كيف أن هذه المراحل المهمة والأساسية هما المفتاح المنهجي والأساسي في بناء أي شخصية إنسانية.

القسم الثاني: التعلم:

يتساءل الدكتور عاقل في هذا القسم قائلاً: «**إن الكثيرين من الناس يعتقدون أن التعليم يشبه صب الماء في دلو، فهل هم على حق في نظريتهم هذه؟**»(٣). وبعد شرح وتفصيل يعطي تعريفه الخاص للتعلم فيقول: «**يقال عن الإنسان إنه «تعلم» حين يتمكن من القيام بعمل لم يكن يستطيع القيام به من قبل**»(٤).

بعد ذلك يأتي الحديث عن نظريات التعلم التي يجهد الكاتب لكي يشرحها، بدءاً من نظرية الترابط التي هي عملية متواصلة بين المثير والاستجابة ويتحدث عن تجربة **بافلوف** وكيف أنه بعد حدوث المثير لا بد من أن تحدث استجابة معينة، ولكن التعلم يختلف إلى حد كبير بين الحيوان في تجربة **بافلوف** (الكلب) والإنسان الكبير العاقل والطفل الحدث والتعلم بأي شكل من الأشكال يتأثر إلى حدٍ كبير بنفسية المتعلم ونوعية التعليم وأدائه.

ينتقل بعد ذلك إلى النظريات المشهورة الأخرى كالغشتالت مثلاً التي يمهد لها بأنها مدرسة علم النفس المجالي الذي يعطي التركيز الأهم للإدراك فوق أي شيء ولا يعتبر الاستجابة جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية، بل هو ليس أكثر من مؤشر على أن التعلم قد حدث. والغشتالت كلمة ألمانية تعني الصيغة أو الكل ومن أبرز صفاتها أنها تقول «إن الجزء أكبر من الكل»(٥)، وكذلك إيضاحها لظاهرة التبصر، فنحن حينما نرى مجموعة نقاط تمثل دائرة أو مثلثاً أو حتى نصف دائرة، نستطيع بواسطة هذه الميزة العقلية أن نحدد بأن ما بين أيدينا هو دائرة أو مثلث وهكذا. وفي هذه النظرية تخالف الغشتالت المدرسة الترابطية التي تتحدث عن أن الرائي (المشاهد) يظل يحاول حتى يصل إلى الشكل المطلوب.

بعد ذلك ينحو هذا الفصل منحىً آخراً هو منحاه التعليمي–التربوي؛ حيث إن الدكتور عاقل يتجه صوب طرق الدراسة الأمثل والأفضل، فينقلب بين توزيع وقت الدراسة، باحثاً عن إعطاء كل دراسة وقتها الأفضل، إلى عادات التعليم الجيدة حيث يتحدث عن سبع نقاط أساسية يحتاجها المتعلم في دراسته، ثم ينتقل في النهاية إلى الشروط الداخلية والخارجية التي تؤثر، ابتداء من غرفة الصف، إلى التعب والشعور بالتعب، مروراً بالعقاقير والأدوية التي تساعد على السهر كالكافيين في القهوة، انتهاء بالتبغ وغيره.

وبعد الانتقال المتتابع في شرح التعلم ينتقي د. عاقل عدداً من أساليب التعلم الأساسية محاولاً الإضاءة على جوانبها المتعددة كون التعلم هو النقطة الأساس في علم النفس التربوي.

والفصلان السابع والثامن: التشويق والتعزيز والنسيان هما فصلان متكاملان كان الأجدر بهما أن يكونا فصلاً واحداً، وقد يكون الكاتب ارتأى أن يباعد بينهما لكي لا يضحي الفصل طويلاً مملاً بالنسبة للقارئ.

ففي الفصل السابع يشرح طريقتي التشويق والتعزيز، فالتشويق كما التغزيز

هما محاولتان لدفع الطالب إلى التوجه، برغبة وبحب، ناحية التعلم ويركز الكاتب على أهميتهما في خلق علاقة تربوية ناجحة للغاية، مؤكداً أهمية التنافس والتعاون وقدرة التعزيز على القيام بدور سلبي أحياناً إذا ما أسيء استخدامه.

وفي الفصل الثامن، يركز بطريقة مشابهة على التعليم والنسيان، ويظل يدور في نفس الحلقة من أساليب التعليم. فالتذكر كما النسيان أمران يحدثان تبعاً لضوابط معينة، كطريقة التعلم وأسلوبه، كالخبرة التي تلي التعلم، كطبيعة المادة وإلى ما هنالك، إذاً باختصار قد يدخل مفهومي التعزيز والتشويق في الفصل السابق كأداة فاعلة هنا.

ثم يعود الكاتب في الفصل العاشر، إلى واحدة من أساسيات التعلم وهي اللغة، فاللغة مفتاح الأشياء ووسيلة التعلم المثلى ويتحدث مستفيضاً عن اللغة وكيفية تكوينها واكتسابها ويورد نظريتي بياجيه وفيغوتسكي[٦]، في الموضوع ويصل بين اللغة والفكر وكيف أن اللغة رمزية، وأن رمزيتها هي الأساس في كل العمليات الإدراكية الواعية، ويتحدث في الختام عن التواصل غير الكلامي، وتعلم المهارات الكلامية الشفوية.

أما في الفصل الحادي عشر، فيورد الكاتب تفصيلاً لنظرية بياجيه العالم الفرنسي عن تكون المفاهيم وهي نظرية مهمة وأساسية في المجال، -كما يذكر-، وليلخص نظرية بياجيه يحتاج أن يلخص من الأقسام الخمسة الأساسية التي وضعها العالم الفرنسي الذي كان ما يزال حياً عند تدوين الكاتب لكتابه، ولكنه مع الطبعة العاشرة من هذا الكتاب المطبوعة عام ١٩٨٥ يكون قد مضى على وفاة بياجيه حوالي الخمس سنوات، حيث إنه توفي في العام ١٩٨٠[٧]، علماً بأن الطبعة مزيدة ومنقحة كما كتب على الغلاف.

وبالعودة إلى النظرية التي وضعها جان بياجيه، فالمراحل التي أوردها عالم النفس الفرنسي هي:

١- المرحلة الحسية الحركية
٢- المرحلة قبل المفهومية
٣- المرحلة المدرسية
٤- العمليات المحسوسة
٥- العمليات الصورية

وفي ختام هذا الفصل يورد د. عاقل نقداً للنظرية وانعكاساتها على أعمال المعلم والتعلم والتعليم.

في ختام هذا القسم ككل، يدلف الكاتب إلى فصل يسميه التعليم المبرمج، ويبدو أن هذا الفصل هو جمع لكثير من الخبرات في المجالات التعليمية المتعددة، فيبدأ بالتعزيز داخل غرفة الصف إلى أمور أكثر ضبطاً من البرمجة الخطية والبرمجة التصميمية

والتفريغية انتهاءً ببناء البرنامج التعليمي وصولاً إلى ما يسميه الماكنات وهي كالألعاب التي تضيء إذا ما لمست الجواب الصحيح أو تصدر صوتاً مزعجاً إذا كان الجواب خاطئاً.

القياس والتقويم:

يبدأ د. عاقل في هذا القسم -كأي كتاب علم نفس تقليدي يتحدث عن القياس- والقياس الذي أدخل بداية عبر الفرنسيين (بياجيه بالتحديد إلى المدارس) أدخل كمقياس للذكاء. ولا يختلف إثنان على أن قياس الذكاء وتحديده، ومحاولة الإحاطة به من كل جوانبه كانت شغلاً شاغلاً لعلم النفس على مر الأزمان، وعلم النفس التربوي لا يشذ عن هذه القاعدة، فمقدرة الطالب التعليمية تحددها قدرته الذكائية، فإذا ما قلت أو ارتفعت كان أدائه أعلى أو أقل.

ومن هنا، يفرد د. عاقل أربعة فصول للقياس والتقويم، محاولاً إضفاء شموليته الخاصة على فصوله تلك، فتكون الفصول على الشكل التالي:

أ-الذكاء: طبيعته وروزه

ب- الإبداع وتربيته

ج- دراسة الطفل المفرد

د- الامتحانات والاختبارات (وملحق لكيفية حساب العلامات المعيارية)

أ- الذكاء وطبيعته وروزه:

وكما تحدثنا منذ البداية عن القياس والتقويم؛ فإن الذكاء لا يمكن أن يتحدد إلا من خلال معطيات ومؤثرات ومحددات كثيرة؛ لذلك اختلف العلماء والمحللون كثيراً عند معناه. ويحاول د. عاقل أن يشرح ويوضح الكثير عن الأمر مفصلاً أسباب وموجهات الذكاء بدءاً من الوراثة إلى البيئة إلى الجنس والعرق. وبعد أن يوضح الجوانب المؤثرة في تطور الأمر ينتقل إلى عنوانه الرئيس قياس الذكاء، فيتحدث عن روائز (اختبارات) الذكاء وطبيعتها ومدى تطورها ابتداءً من المحاولات الأولى وصولاً إلى المراحل الحالية.

ب- الإبداع وتربيته:

في نهاية الفصل السابق يورد د. عاقل نصين صغيرين يتحدثان عن طبيعة العبقري أو سيكولوجية الموهوب، ثم يكمل في هذا الفصل الأمر؛ حيث يتحدث عن الإبداع وكيفية تربيته وتنميته وتشجيعه. فيتحدث بداية عن صفات الإبداع وتجلياته. فالإبداع ليس مفاجأة ولا هو أمر خفي، فهناك الكثير من المؤشرات الواضحة والسهلة الإدراك. فالمبدع يمتلك مزايا خاصة تجعل من السهولة ملاحظة الأمر، بداية من التفكير الفردي المباشر إلى قدرته الفائقة على التحليل وغير ذلك من

الميزات التي يركز عليها الكتاب ويخلص في هذا القسم إلى كيفية متابعة وتنمية الأمر أثناء التربية، وأثناء التعليم وأثرهما في تطوير الأمر.

ج- دراسة الطفل المفرد:

في هذا الفصل يقدم د. عاقل الجزء الأهم من الكتاب، وللحقيقة صحيح أنه لم يفرد للقسم الكثير، إلا أنه حاول قدر الإمكان إعطاء هذا القسم حقه. فالفصل هو نقطة البدء الأساسية في أي دراسة نفسية، إنها الفرادة؛ أي التميز الفردي، فلا يستطيع أيٌّ كان أن يلغي فرادته أو فرادة أي أحد. وهذه بالتالي هي أكبر مشكلة تواجه علم النفس وتواجه أي دراسة يقصد بها الخروج بنظرية نفسية سواء أكانت تربوية أم لم تكن.

فالفرادة تعني أن لكل شخص مشاكل خاصة وصفات خاصة وبيئة خاصة أتى منها وموروثات خاصة. ويعطي أمثلة كثيرة ونماذج طبقية وربطية وعرقية ومدنية وقومية. كذلك يسأل من هم الواجب دراستهم؟ وعن مصادر المعلومات الواجب الاستقاء منها؟ شارحاً ومفصلاً في آنٍ واحد الرؤية التي تقول بوجوب أخذ المعلومات من المصدر الأساس وعبر الملاحظة والمقابلة والمتابعة الدائمة، إنما دون نسيان الأهل والبيئة والمجتمع التي لها نصيب وافر من الدلالة نفسها.

د- الامتحانات والاختبارات:

وإذا كنا نتحدث عن القياس لا يمكننا أبداً أن ننسى ولو لثانية واحدة الامتحانات والاختبارات، فهذه الأمور هي الجزء الأكثر بروزاً من القياس، والأكثر شهرة. ويتحدث في هذا القسم عن جميع أنواع الاختبارات التي مرت وتمر في المدارس والمؤسسات التعليمية-التربوية. وطرقها ومحاولة تطويرها وتحسينها عبر الوقت، ملفتاً إلى أن بعضها يعطي أحياناً توجهات ورؤى قد لا تكون مصيبةً بنسبةٍ عالية.

القسم الرابع: التكيف والصحة النفسية:

حينما يصل الكتاب إلى القسم الرابع، يتبادر سؤال إلى ذهننا، لماذا أخَّر الكاتب هذا القسم إلى هذه الصفحة(ص ٤٧٥) أو إلى هذا المكان (القسم الرابع)، أو حتى لماذا أورده، إذا كان يريده، لماذا أخره إلى هذا الحد؟ فمفهومي التكيف والصحة النفسية مهمان ولا شك ولكن أن يتم تأخيرهما إلى هنا يدفعنا حتماً إلى التساؤل: لماذا وبعد أن شرحنا الكثير داخل علم النفس التربوي، نعود القهقرى إلى الخلف؟ ألم يكن الأجدر بنا أن نغوص للأعمق، داخل التربية وليس داخل علم النفس؟ ولطالما كانت هذه مشكلة علم النفس التربوي فهو مزيج ضائع بين علم النفس والتربية، ولعل محاولة د. عاقل

هي نوع من الإثبات لهذه المشكلة، فهو كما لو أنه يقود سفينة الكتاب بحذرٍ شديد بين صخورٍ حادة ليقول: إن كتابه المعنون علم النفس التربوي، هو كتاب علم نفس قبل أي شيء. وإذا كان الأمر كذلك، كما أوردنا، يظل السؤال يلح، لماذا تأخير الفصل إلى هنا؟ وإذا لم يكن لماذا هذا الاسم ولماذا هذا القسم من الأساس؟ ولأنه لا توجد إجابة نترك الحكم للقارئ.

يقسم د. عاقل هذا القسم كسابقه إلى أربعة أقسام كما سابقه يتحدث فيها عن الحاجات الفردية والنفسية وإرضائها، وطبيعة النفسية وأبرز المشاكل المعاناة، ثم المواقف والسلوك المفرد والتصرفات الواضحة انتهاءً في فصله العشرين بالسيكولوجيا الاجتماعية للمدرسة والجو العام هناك.

أ- حاجاتنا وإرضائها:

في هذا الفصل يشرح د. عاقل الحاجات الأساسية التي تشكل العامود الفقري لأي إنسان، هذه الحاجات التي من شأنها تحريك نوازعه ورغباته، بدءاً من دوافع الحياة والشعور بقيمة الذات انتهاءً بالعلاقات مع الأشخاص والطعام والثياب. وإن ما يحاول الكاتب إثارته في هذا القسم هو العلاقة المؤثرة بين نوازعنا وحاجاتنا ورغبتنا في إرضاء هذه الرغبات وحدة تأثير هذا الأمر على التربية لدينا.

ب- طبيعة الصحة النفسية:

بعد الفصل السابق كان لا بد من الولوج أعمق داخل الجانب النفسي. فالكتاب يتحدث عن القلق كباب مؤدٍ إلى المشاكل النفس-تربوية قبل أي شيء وبالانتقال من القلق نجده يتجه نحو المشاكل التي هي نتاج منطقي للقلق، كالكبت والغضب والحدة والتبرير والتقرير. ثم يجنح تجاه الصعوبات الانفعالية خاتماً حديثه بالجسد-نفسي، والعلاقة المستمرة بين الأمراض النفس-جسدية.

ج- السيكولوجيا الاجتماعية للمدرسة:

ولختام هذا القسم ارتأى الكاتب أن يعود كما بدأ إلى المدرسة، إلى التربية والتعليم، فالمدرسة التي هي أساساً الملعب الرئيس والأساس لكل الحياة التربوية-التعليمية. ويتحدث مفصلاً عن علاقة الفرد بالجماعة سواء داخل الصف أم خارجه، ويسلط الضوء قدر الإمكان على كل العلاقات التي تحاك في ذاك الجو الذي يشكل حجراً أساساً في الصحة النفسية والعملية التربوية.

القسم الخامس: سيكولوجية المعلم:

وفي الختام، وبعد الحديث عن كل أوجه التربية سواء من النواحي التربوية

البحتة أم من النواحي النفسية، ينتقل الكاتب إلى الجزء الثاني من أي معادلة تربوية أي المعطى، فبعد أن تحدث مطولاً عن المتلقي وعاداته وصفاته وكل الأمور التي من شأنها الإحاطة التامة به ينتقل في هذا القسم إلى الحديث عن المعلم وصفاته النفسية أو كما يحددها حرفياً (سيكولوجية) المعلم. ويقسم د. عاقل هذا القسم إلى فصلين، النمو المهني للمعلم، والتكيف الانفعالي الشخصي للمعلم.

أ- النمو المهني للمعلم:

في هذا الفصل يبدأ الكاتب بمحاولة إحاطة شبه تامة بكل ما يعتري المعلم من صفات وسلوكيات. ولأجل أن يصل إلى العنوان الكبير الذي وضعه مسبقاً وهو (سيكولوجية المعلم) فإنه ينتهج أسلوباً علمياً محضاً، وهو تعداد المشاكل ومحاولة تقريرها وتقريبها من الحلول. فهو يبدأ بسلوك المعلم النامي مهنياً. محاولاً قدر الإمكان أن يقدم الصورة الأمثل للمعلم لكي يبتها مصراً في الوقت عينه على الإضاءة التامة على أبرز المشكلات سواء من حيث الاستعدادات الشخصية الفردية للمعلمين، أو تلك التي تنشأ من العلاقات السيئة بينهم وبين الإدارة، أو المنهاج الرسمي أو حتى المجتمع. وفي الختام يورد بعض الطرق والوسائل التي من شأنها تقديم العون للمعلم في تحسين أدائه وتطوير أساليبه.

ب- التكيف الانفعالي والشخصي للمعلم:

في هذا الفصل الذي هو الأخير من الكتاب يركز د. عاقل على نقطة أساسية هي تكيف المعلم داخل المجال أو العمل الذي يقوم به، ويشرح المشكلة متسائلاً عن المدرِّسين الذي يمكن وصفهم بسوء التكيف. ثم ينتقل بعد ذلك للتحدث عن المشكلة بالتفصيل موضحاً آثار سوء التكيف، وأسبابه ومدى مخاطره سواء على التلاميذ أو حتى الجو التعليمي العام، انتهاءً بالمخاطر المهنية. وفي نهاية هذا الفصل يقدم د. عاقل بعض الاقتراحات التي من شأنها -كما يقول- أن تحافظ على صحة نفسية جيدة.

خلاصة وتحليل:

الكتاب الذي بين أيدينا يقع في ٦٣٢ صفحة من القطع الكبير، والمطبوع لأول مرة سنة ١٩٧١ كما تشير مقدمة الكاتب، والطبعة التي بين أيدينا هي الطبعة العاشرة منه وطبعت في١٩٨٥، وهذا بحد ذاته دليل على أن الكتاب مطلوب من القراء، والتربويين أو العاملين في المجال.

يعتبر الكتاب، بامتياز، كتاباً تعليمياً جامعياً، فهو مرتكز في منهجيته على علم الطالب أو القارئ المسبق لما سيقرأه فهو

وإن قدم شرحاً لكثير من الأمور، فقد فاته أن يشرح الكثير من النقاط الخافية على غير تلاميذ أو عشاق علم النفس، وعلم النفس التربوي تحديداً، فكان مجال التركيز في الكتاب على طبقة معينة من القراء.

ولا يفوتنا أن الكتاب المطبوع في سنة ١٩٧١ متأثر إلى حدٍ كبير بنوعين من الكتب في تلك الآونة عالمياً. تأثره بمرحلة الكتب الأولى في علم النفس التربوي آنذاك وهي المرحلة التفصيلية؛ حيث إننا قلما نجد كتاباً حديثاً في علم النفس سواء التربوي أو غيره مقسماً نفس التقسيم، وخاصة إذا ما كان كتاباً قصد به أن يدرَّس في الجامعات؛ أي أنه يفتقد للتدريب التفاعلي والسبب يعود ببساطة إلى أن فكرة التدريب أو الدراسة التفاعلية ككل لم تدخل إلى حيز التطبيق، إلا بعد زمن الكتاب بحوالي سبعة أعوام أو خمسة على أقل تقدير. ثم هناك تشابه الكتاب بعدد كبيرمن كتب علم النفس المصرية التي تعتمد اعتماداً شبه كامل على الإطالة والشرح الوفير وهو أمر جيد ومطلوب في مرحلة معينة، إلا أنه يفقد جماليته حينما يدخل التكرار في كثير من الأحيان، فالدكتور عاقل في فصل الوراثة والبيئة تحدث عن الموضوع، ثم عاد ليخوضه من جديد في فصل الذكاء، وفي فصل الإبداع وفي عدة فصول أخرى، إذاً لشدة ارتباط الأمور ببعضها اضطر الكاتب للإعادة والتكرار وهذا ما يتجنبه أغلب الباحثين الغربيين وذلك من خلال محاولاتهم تجنب الشرح المسهب والتفصيل المطول.

بعد كل ما أوردناه في عرضنا لكتاب علم النفس التربوي، تطالعنا أسئلة عدة ونقاط لابد من الإشارة إليها. فالتساؤل هو لماذا؟ وما هي فائدة هذا الكتاب؟ وما هو المقصود من ورائه؟ هل هو إغناء المكتبة العربية القاصرة في هذا المجال؟ أم هو مساعدة المعلمين والأساتذة بما يستطيع علم نفس التربية تقديمه لهم؟ أم أنه كتاب جامعي-دراسي فحسب وضع للمختصين فقط؟ كل تلك الأسئلة تظل تطرح سواء أثناء القراءة أم بعد الانتهاء منها.

وهناك بعض النقاط الأخرى التي أود الإشارة إليها:

١- يلاحظ في الكتاب عدم وجود مصادر أو مراجع أو حتى حواشي سفلية(إلا في ما ندر وبالتحديد في صفحتين، صفحة ٣١٣ و ص٢٩٠ وكمراجع أجنبية وليست عربية)، هل هذا التقصير من المؤلف أم أنه حصل سهواً، وبحال أنه حصل سهواً، فكيف يمكن حصوله والطبعة التي بين يدينا هي الثامنة، ومزيدة ومنقحة كما يشير الغلاف.

٢- يلاحظ في الكتاب سوء توزيع أحياناً، فمثلاً القسم الرابع في الكتاب الذي يتحدث فيه عن الصحة النفسية، ألم يكن من الأجدر أن يكون في البداية أو حتى في النهاية بدلاً من دفعه إلى الوسط حتى بدا مستوحداً وحيداً، كما لو أنه لا شأن له ولا عمل.

في النهاية يجب الإشارة إلى أمر هو أن الكتاب بحد ذاته هو إغناء للمكتبة العربية، ذاك أن الكتب الموجودة في هذا المجال قليلة للغاية، ولا تقدم نفس النوع من المعرفة. فالكتاب يقدم نفسه بشكل فعلي على أنه المرجع والمنهج المنطقي لعلم النفس التربوي، فهو يقدم جميع أنواع الإجابات لكل الأسئلة التي تسأل عن علم النفس التربوي، باختصار إنه كتاب جيد ومميز لكل محب لعلم النفس التربوي خصوصاً، أو علم النفس عموماً.

الهوامش

(١) من المفيد الإشارة هنا إلى أن علم النفس التربوي، كما المدرسة، كما أنظمة كثيرة قد تطورت منذ العام ١٩٧١ ولغاية الآن.
(٢) عاقل، د. فاخر: علم النفس التربوي، دار العلم للملايين، ط ١٠، ١٩٨٩، بيروت، لبنان. ص ٣٣.
(٣) م.ن.، ص ١٤٩.
(٤) ن.م.، ص ١٥٠.
(٥) ن.م.، ص ١٥٦.
(٦) ن.م.، ص ٢٧٩.
(٧) للتأكد يرجى مراجعة: موسوعة مايكروسوفت الإلكترونية Microsoft Encarta 2004.